

المكانة العلمية لكتاب الأحكام الكبير عند مؤلفه الحافظ ابن كثير^(*)
فيصل جابر الشمري¹، أمين أحمد عبد الله النهاري²، د. رشدي بن رملي³
(*The Scientific Position of "The Great Book of Provinces" for its
Author Al-Hafiz Ibn Khathir*)

Faisal Jaber al-Syamri, Amin Ahmad Abdullah al-Nahari, Rusydi bin
Ramli

ABSTRACT

This study aims to identify the position of Al-Hafiz Ibn Khathir and the importance of his book "*The Great Book of Provinces*". In this study, the researcher explores the position of "*The Great Book of Provinces*" for his author Al-Hafiz Ibn Khathir who was one of the greatest scholars and channels of knowledge. He left to the Islamic library a blooming field of books and collections many of which were lost, and the rest reached us as manuscripts or publications. The research began with presenting the biography of Al-Hafiz Ibn Khathir and defining "*The Great Book of Provinces*". Then researchers followed that by mentioning the importance of this book for Al-Hafiz Ibn Khathir through showing the places which Al-Hafiz Ibn Khathir referred to it, and showing its juristic and modern value to motivate scholars and researchers to conduct adequate and integrated studies on it. The nature of the study imposed the use of the inductive and analytical approach. The study concluded that "*The Great Book of Provinces*" is considered as an encyclopedia in the science of Hadith with its many benefits and valuable issues which Al-Hafiz Ibn Khathir presented in the way of Hadith.

Keywords: *Ibn Khathir, Book of Provinces, Knowledge.*

^(*) This article was submitted on: 04/06/2020 and accepted for publication on: 18/07/2020.

¹ طالب دكتوراه، قسم الفقه وأصوله، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا (ماليزيا)، faisal.j9@gmail.com

² أستاذ مساعد، قسم الفقه وأصوله، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا (ماليزيا)،

alnahari1977@um.edu.my

³ أستاذ مساعد، قسم الفقه وأصوله، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا (ماليزيا)، sufism@um.edu.my

ملخص

يتناول هذا البحث قيمة كتاب الأحكام الكبير عند مؤلفة الحافظ ابن كثير، وإظهار قيمته الفقهية والحديثية. وتبرز مشكلة هذا البحث في عدم تسليط الضوء على المكانة العلمية لكتاب الأحكام لمؤلفه الحافظ ابن كثير. ويهدف البحث إلى معرفة مكانة الحافظ ابن كثير العلمية، وبيان أهمية كتاب "الأحكام الكبير" الفقهية، وإثارة حفيظة طلاب العلم والباحثين نحو كتاب الأحكام الكبير. وقد استُخدم في البحث المنهج الاستقرائي التحليلي. وتناول البحث التعريف بكتاب الأحكام الكبير، ثم ذكر أهمية الكتاب عند الحافظ ابن كثير من خلال بيان مواطن إحالة الحافظ ابن كثير عليه وتبيان قيمته الفقهية. وخلص البحث إلى نتائج من أهمها أن الحافظ ابن كثير يستخدم طريقة المحدثين في عرض الأحكام الفقهية، ويُعد كتاب الأحكام الكبير موسوعة في علم الحديث بما فيه من فرائد الفوائد ونفائس المسائل.

كلمات دالة: ابن كثير، الأحكام الكبير، العلم.

1- مقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام عليه من قال له ربه: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) أما بعد: فإن الله تعالى جعل العلماء ورثة الأنبياء، وأخذ عليهم الميثاق أن يبينوا العلم ويبلغوا عن الله ورسوله، فشددت العلماء عزائمها، وأقبلت بكليتها على كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يستنبطون منهما الدرر، ويستخرجون منهما العلوم والحكم، في التفسير والفقه والعقيدة وغيرها، وكان من هؤلاء الأعلام الذين أفنوا حياتهم في نشر العلم ونثر فوائده، واستخلاص فرائده، الإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير ت 774هـ، فقد ترك مصنفات في كافة العلوم الشرعية، وتميزت مؤلفاته بالعموم واتصفت بالموسوعية، وصار اسمه مقترناً بالتفسير والبداية والنهاية، حتى كأنهما غاية ما ألف، وجماع ما صنف، والحق أن الكتابين على فضلها غير أن الحافظ ابن كثير له من

الكتب ما يربو على الستين؛ ما بين مفقود ومخطوط ومطبوع، وكان من جملة كتبه القيمة النادرة كتابه "الأحكام الكبير" وإن كان الحافظ ابن كثير لم يكمل تأليفه غير أن ما كتب منه جعل المترجمين للحافظ ابن كثير يذكرون الكتاب بالثناء الحسن والذكر الجميل، وظلت فوائد الكتاب في غياهب المخطوطات، وفرائد أفكاره في رفوف المكتبات، حتى وفق الله تعالى دار النوادر لطباعته، فخرجت عرائس أفكاره إلى الأنوار، وزفت فوائده بطباعته إلى سائر الأقطار، فبعث ذلك في نفسي العزيمة على تناول قيمة الكتاب ومنزلته العلمية عند الحافظ ابن كثير، وقد قدمت بين يدي ذلك بمبحث ذكرت فيه ترجمة للحافظ ابن كثير، وتعريفاً بكتاب الأحكام الكبير، فجاء البحث في مبحثين، تضمنت خمسة مطالب، تفي بالمطلوب من غير اختصار ولا إسهاب، والهدف من ذلك بيان فضل الحافظ ابن كثير ومكانته العلمية، ومعرفة مزايا كتاب الأحكام الكبير، وأهميته العلمية، ومكانته الفقهية، عند الحافظ ابن كثير، ومن بعده من العلماء والباحثين. والله حسبي ونعم الوكيل، وهو وحده صاحب الفضل والتيسير، ومنه المعونة والتسهيل والحمد لله رب العالمين.

ومن الدراسات العربية التي اهتمت بؤلفات بالإمام الحافظ ابن كثير ودورها في تحقيق الأهداف المنشودة، نذكر منها:

- تعقبات الإمام ابن كثير على من سبقه من المفسرين من خلال كتابه تفسير القرآن العظيم، جمعاً ودراسة، ماجستير، أحمد بن عمر بن أحمد بن السيد، 2010، جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، عدد الصفحات 460، وتتضمن الدراسة قسماً نظرياً وتطبيقياً، أما النظري: ففيه فصلان تناول الباحث في الفصل الأول: التعريف بالإمام ابن كثير، وكتابه تفسير القرآن العظيم، وخصص مطلباً لذكر مصادر ابن كثير في التفسير، والفصل الثاني: خصصه للتعريف بالتعقبات، وصيغها، ومنهج ابن كثير فيها، وأما القسم التطبيقي فقد جمع فيه الباحث ما وقف عليه من تعقبات ابن كثير على من سبقه من المفسرين، على ترتيب سور القرآن الكريم، ووجه استفادتي من هذه الدراسة في ترجمة الحافظ ابن كثير ومصادره في مؤلفاته.

-الإمام ابن كثير المفسر، مطر أحمد مفسر الزهراني، ماجستير، 1402، جامعة أم القرى كلية الشريعة قسم الدراسات العليا، عدد الصفحات 430 صفحة، وتتكون دراسة الزهراني من تمهيد وثلاثة أبواب، تناول في التمهيد العصر الذي عاش فيه ابن كثير، وفي الباب الأول قدم ترجمة وافية لابن كثير حياته الشخصية والعلمية، أما الباب الثاني فقد خصصه الباحث لتفسير ابن كثير في ستة فصول، وفي الباب الثالث تناول منهج النقد عند ابن كثير في ثلاثة فصول، وختم كتابه بفصل ذكر فيه أثر ابن كثير فيمن بعده من المفسرين وقد استفدت منه كثير في التعريف بالحافظ بن كثير ومؤلفاته ومنها كتاب الأحكام الكبير.

- كتاب الأحكام الكبير للحافظ ابن كثير، تحقيق: نور الدين طالب، مع لجنة علمية بدار النوادر، الطبعة الثانية، 1432-2011، ويقع الكتاب في ثلاثة مجلدات، أولها مقدمة التحقيق في أربع وخمسين صفحة، وقد أفدت منها في التعريف بكتاب الأحكام الكبير. وتختلف دراستي عما ذكرت من دراسات فيما يلي:

- اهتمت دراستي بتقديم صورة متكاملة عن كتاب الأحكام الكبير للحافظ ابن كثير.
- تتبعت في دراستي المنهج الفقهي للحافظ ابن كثير في كتابه الأحكام الكبير.

2- ترجمة الحافظ ابن كثير وكتابه الأحكام الكبير

2.1- ترجمة الحافظ ابن كثير

الفرع الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته وصفاته ووفاته

هو الإمام الحافظ الحجة المحدث المؤرخ الثقة ذو الفضائل عماد الدين: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن درع القرشي الحصيلى القيسي البصري دمشقي الشافعي⁴.

⁴ ينظر: ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج6، ص231.

العوامل التي أثرت في تكوين شخصية الحافظ ابن كثير

1. **الأسرة:** هي الأساس الأول، والتربة التي يخرج غرسها نافعاً صالحاً إن كانت ذا دين وعلم وورع، وقد نبت ابن كثير في أسرة متدينة، والده فقيه درس الفقه الحنفي ثم الشافعي، وخطيب له مقول بين الناس، وشاعر أوتي منطقاً فصيحاً¹⁷، ووالدته حافظة للقرآن، آثرت البقاء على تربية أطفالها، فلم تتزوج بعد وفاة والدهم، بل انتقلت بهم إلى مكان خصب بالعلم، ووافر بالعلماء¹⁸، وأخوه عبد الوهاب كان شيخه الأول، أخذه بالرفق واللين حتى حمله على بساط العلم بين العلماء. " وقد كان لنا شقيقاً، وبنا شفوفاً. وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين (750)، فاشتغلت على يديه في العلم، فيسر الله تعالى منه ما يسر، وسهّل منه ما تعسر"¹⁹، هذه البيئة العلمية الإيمانية التي تحيط ابن كثير بظلالها كان لها أثر قوي في تكوين شخصية عالم، وبناء جبل علمي شامخ.

2. **الموطن الذي عاش فيه ابن كثير:** انتقل ابن كثير مع والدته وإخوته من مجدل إلى دمشق، سنة 20707²⁰، وكانت دمشق في ذلك الزمن جنة الأرض لحسن العمارة ونضارة البقعة وكثرة الفاكهة وكثرة المياه والأنهار الجارية²¹، وبها عدد كبير من المدارس الشرعية، والعلماء المجتهدين، كالمزي، والذهبي، وابن تيمية، والسبكي، وابن جماعة، والزملكاني، وغيرهم، مما يجعل نيل العلم من معينه الصافي سهلاً صافياً، لا يحتاج بُعد الرحلة، أو مشقة السفر، ولا زيادة النفقة.

¹⁷ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، ج14، ص31.

¹⁸ المصدر نفسه، ج14، ص143.

¹⁹ المصدر نفسه، ج14، ص32.

²⁰ اختلف المتزوجون في تاريخ خروج ابن كثير إلى دمشق، فقد ذكر ابن حجر في إنباء الغمر بأبناء العمر (ابن حجر، العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج1، ص45) أن خروجه إلى دمشق كان في سنة 707، وهو الراجح المشهور الذي أثبتته ابن كثير في البداية والنهاية (ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، ج14، ص46، بينما ذكر ابن العماد في (ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العسكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج8، ص397) أن خروجه إلى دمشق كان سنة 706هـ.

²¹ الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج2، ص463.

3. مقابله شيخ الإسلام ابن تيمية وأخذه عنه: هذا عامل مهم في توجيه شخصية ابن كثير، لأن شيخ الإسلام ابن تيمية يمثل مدرسة التجديد في مقابل التقليد العمي الذي يهدر قدر العلم ويقلل قيمته، ويحول العالم المقلد إلى آلة أو ببغاء، صحب ابن كثير شيخ الإسلام، وأخذ عنه، وتعلق به، لما يرى معه من الحق قال ابن حجر "وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه وامتنحن بسببه"²²،

هذه العوامل الثلاثة إذا اجتمعت لشخص، كانت كفيلة بصقل شخصيته، وبناء عقله، والإفادة من مواهبه، لاسيما إذا جاءت المعونة من الله تعالى، لصدق نية العبد، وصفاء سريره، وخبيئة بينه وبين الله تعالى.

صفات ابن كثير الأخلاقية

قد تتهياً للعبد معالم السعادة، وتتوفر له أسباب الريادة، لكن لا تصادف نفساً للشرف مواتية، ولا لنيل المعالي مناسبة، أما ابن كثير - رحمه الله - فقد صادفت الأسباب السابقة، قلباً طموحاً، وفؤاداً بالعلم شغوفاً، فما وقف على سفاسف الأمور، إنما سهلت له صفاته وأخلاقه أن يجاذي العلماء بالركب، وأن يحوز من بين الأقران قصب السبق، ومن أهم ما تميز به ابن كثير ما يلي:

- قوة الحفظ وسرعة الاستحضار: تميز ابن كثير رحمه الله بسرعة الحفظ وقوته مع استحضار عجيب، قال شهاب الدين بن حجي في وصف شيخه ابن كثير "كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بتخريجها ورجاله، وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه يعترفون له بذلك، وكان يستحضر كثيراً من التفسير والتاريخ، قليل النسيان، وكان فقيهاً جيد الفهم صحيح الذهن، ويحفظ التنبيه إلى آخر وقت..."²³.

²² ابن حجر، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج1، ص445.

²³ ينظر: ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج8، ص232.

● قوة النفس مع لزوم الحق والحكمة في الفتوى: من الصفات المعروفة عن ابن كثير - رحمه الله - قوة نفسه ولزوم الحق والعدل، فقد أُوذِيَ وسجن بسبب فتوى الطلاق، التي خالف فيها المذهب الشافعي، ونزل فيها على فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية، لموافقة الأدلة الشرعية، قال ابن العماد "كانت له خصوصية بابن تيمية ومناضلة عنه واتباع له في كثير من آرائه، وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق، وامتنحن بسبب ذلك وأُوذِيَ"²⁴.

● المفاكهة وحسن المجلس: هذه الصفة تجعل الإنسان محبوباً، فإن كان طالب علم قريبته من شيخه، وإن علماً حبيته لطلابيه ومريديه، قال ابن حجر "وكان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة، سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته. . ."²⁵.

● الديانة: كان ابن كثير صاحب ديانة، عفيف النفس عن حرام، بعيداً عن الشبهات في دينه وماله وعرضه، قال ابن حبيب "إمام ذوي التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع، وصنف، وأطرب الأسماع وشنَّف، وحدث وأفاد، وطارت فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير"²⁶.

وفاة الحافظ ابن كثير - رحمه الله -

عاش ابن كثير أربعاً وسبعين سنة بين علم ودعوة، وتأليف وتصنيف، وكان قد كُفِّ بصره في آخر حياته، وكانت وفاته - رحمه الله - يوم الخميس 26 شعبان سنة 774²⁷، وقيل كانت وفاته يوم الخميس منتصف شعبان سنة 774²⁸ "وكانت له جنازة حافلة مشهورة، ودفن بوصية منه في تربة شيخ الإسلام ابن تيمية، بمقبرة الصوفية، خارج باب النصر من

²⁴ ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج8، ص39.

²⁵ ابن حجر، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج1، ص445.

²⁶ ابن حجر، العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج1، ص46.

²⁷ ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج11، ص123.

²⁸ ابن حجر، العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج1، ص46.

دمشق"²⁹، وبكت عليه حلق العلم، ومجالس السنة، وراثه طلابه بمآقي عيونهم، وقوافي أشعارهم.

الفرع الثاني: شيوخ ابن كثير وتلامذته وثناء العلماء عليه

أولاً: شيوخه

حظي ابن كثير بالأخذ عن عدد من جهاذة العلم، وسادة الحفاظ، وليس القصد استيفاء جميع من سمع منه ابن كثير أو أخذ عنه، إنما نكتفي بذكر من كان لهم أثر في تكوين حدسه العلمي، ومن هؤلاء العلماء³⁰: القاضي أبو زكريا الشيباني ت 724، عفيف الدين الصقلي ت 725، ابن الزملكاني ت 727، الملك الكامل ناصر الدين ت 727، ابن الدواليبي ت 728، برهان الدين الفزاري ت 729، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية ت 728، أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن الصالحی الحجار، المعروف بابن الشحنة، ت 730، علم الدين البرازلي ت 739، أبو الحجاج المرّي ت 742، شمس الدين الذهبي ت 748.

ثانياً: تلامذته

تميز الإمام ابن كثير - رحمه الله - بالخلق الجميل، والعلم الواسع، والصدر الرحب، وحسن المفاكهة والمجالسة، وكلها أسباب تجعل العالم محبوباً من طلابه، وتحيي له من صفوة الطلاب، وخلاصة الدارسين من يحملون علمه، ويقدرون قدره، وكما رزق ابن كثير بسطة في شيوخه، فقد أعطي بركة في طلابه، فكل طالب من طلابه كان مدرسة في تخصصه، ونكتفي بذكر أهم طلاب ابن كثير³¹: الحافظ شمس الدين بن الجزري ت سنة 833، الإمام الزركشي ت

²⁹ الشافعي، ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله أبي بكر بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي، الرد الوافر، ص 92.

³⁰ ينظر: ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 6، ص 67-153.

³¹ ينظر: ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 6، ص 274-335.

794، ابن حجي ت 816، الحريري المعروف بالسلاوي ت 813، الإمام الحسيني ت الحافظ بالعراقي ت 806، أبو زرعة العراقي ت 862، نور الدين الشوبكي ت 766، سعد الدين الخليلي ت 805.

ثالثاً: ثناء العلماء عليه

■ قال الحافظ الذهبي في حق ابن كثير رحمه الله: "الإمام الفقيه المفتي، المحدث الأوحد البارع، ذي الفضائل، فقيه متفنن، ومحدث متقن، ومفسر نقال، وله تصانيف مفيدة. . . 32"

■ قال الإمام العيني: "كان قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ، سمع وجمع وصنف ودرس واشتهر بالضبط والتحرير، انتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير، وله مصنفات عديدة ومفيدة" 33.

الفرع الثالث: مصنفات الحافظ ابن كثير

كان ابن كثير رحمه الله من جهابذة عصره في فنون العلم وصنوف المعرفة، وقد تولى الإفتاء والخطابة رسمياً³⁴، وقام بالتدريس في المسجد الأموي³⁵، وعدد من المدارس الشرعية³⁶، وترك ميراثاً زاهراً من المصنفات الخالدة؛ منها ما هو مخطوط ينتظر مؤسسات علمية متكاملة تقوم على خدمته وطباعته، ومنها ما هو مطبوع مثل³⁷:
1) تفسير القرآن العظيم، فضائل القرآن.

³² الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، معجم المحدثين، ص 41.

³³ ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 3، ص 277.

³⁴ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، ج 14، ص 321.

³⁵ المصدر نفسه، ج 14، ص 321.

³⁶ ينظر: المصدر نفسه، ج 14، ص 133، 173، 225، 281.

³⁷ نصّ الزهراني على أن هذه المصنفات هي المطبوعة من مجموع مؤلفات ابن كثير رحمه الله، غير أنه صنف كتاب الأحكام الكبير من المخطوط، وهو الكتاب الذي نحن بصدده في هذا البحث، وقد طبع حديثاً سنة 1432-2011، ينظر: الزهراني، مطر احمد مسفر، الإمام ابن كثير المفسر، ص 58-72

- (2) اختصار علوم الحديث.
- (3) البداية والنهاية.
- (4) الفصول في اختصار سيرة الرسول.
- (5) الاجتهاد في طلب الجهاد.
- (6) مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- (7) أحاديث التوحيد والرد على أهل الشرك، الأحكام الكبير.

2.2- التعريف بكتاب الأحكام الكبير

كتاب الأحكام الكبير من الكتب التي تعكس لنا علم ابن كثير في صورته الموسوعية الجامعة، غير أنه لم يكتمل، وما كتبه الحافظ ابن كثير لم يصلنا منه إلا الجزء الثالث من تجزئة الحافظ ابن كثير، وتظهر فيه: تحريات الإمام ابن كثير، وترجيحاته، وتنبهاته، وبراعته في إيراد الأحاديث واستحضارها، ودقة بحثه وشموليته، وبرزت فيه التحقيقات الباهرة لمسائل عويصة هي أعلام المسائل وعيونها، كما أفاد في معرفة أحوال الرجال صحة وضعفاً وقبولاً ورداً³⁸. وفي هذا المطلب يقدم الباحث تعريفاً مختصراً لكتاب الأحكام الكبير الذي نحن بصدده، في الفروع الآتية:

الفرع الأول: تحقيق اسم الكتاب

ذكر محققوا الكتاب في دار النوادر أن النسخة الخطية المعتمدة لديهم لم يرد فيها اسم الكتاب لا في أوله ولا آخره لاسيما أنه ليس فيه مقدمة³⁹، ولا خاتمة، وإنما هو جزء من بين أجزاء مفقودة، وقد ذكر بعض الباحثين أنه دُون على طرة المخطوط "الأحكام الكبرى تأليف شيخنا الإمام العلامة بقية السلف طراز الخلف عماد الدين إسماعيل بن الخطيب

³⁸ ينظر: ابن كثير، الأحكام الكبير، ص 7.

³⁹ ينظر: ابن كثير، الأحكام الكبير، ص 33.

شهاب الدين عمر بن كثير القرشي البصري رحمه الله ومتع به المسلمون⁴⁰، لكنني أرجح إثبات الكتاب باسم "الأحكام الكبير" لما يلي:

- ليس بالضرورة أن يكون الاسم المكتوب على طرة الكتاب منقول عن نسخته أو من مؤلفه؛ بل ربما يكون تصنيفاً من الدار التي فيها المخطوط.

- ذكر ابن كثير هذا الكتاب باسم (الأحكام الكبير) كثيراً، أما ذكره (الأحكام الكبرى) فقد وقع قليلاً، كما سنرى في البحث، وربما ذكره بكتاب (الأحكام) مجرداً.

- مما يؤكد تسمية الأحكام الكبير وجود كتاب الأحكام الصغير للمؤلف؛ فتكون تسمية الكبير مقابلة للصغير.

- كما أن وجود صفة الكبرى في عدد من المؤلفات⁴¹ قريبة العهد بابن كثير لا تجعله يعطي كتابه نفس الاسم؛ إنما تدعوه للتمايز عنها فعدل عن الأحكام الكبرى إلى الأحكام الكبير.

الفرع الثاني: نسبة الكتاب إلى مؤلفه ابن كثير

لا شك في نسبة الكتاب إلى ابن كثير - رحمه الله -، وما يدل على ذلك ما يلي:

- ذكر ابن كثير اسم هذا الكتاب وأحال عليه في أكثر من ثمانية مواضع في "التفسير"⁴²، وأكثر من سبعة عشر موضعاً في "البداية والنهاية"⁴³، وأكثر من ثلاثة مواضع في (اختصار علوم الحديث)،⁴⁴ وموضعاً في مقدمة كتاب (جامع المسانيد والسنن)⁴⁵، وقد جاءت إحالات ابن كثير على الكتاب بعبارات متنوعة إما بصيغة الجزم كما ذكره عند مناقشة

⁴⁰ هذه النسخة كتبت في حياة المؤلف سنة 770، وهي النسخة الموجودة في دار الكتب الوطنية بتونس برقم 168.

⁴¹ مثالها: كتاب الأحكام الكبرى لمجد الدين ابن تيمية.

⁴² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص727، 246، 109.

⁴³ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، ج2، ص186.

⁴⁴ ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ج1، ص400، 155، 96.

⁴⁵ ابن كثير، جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن، ج1، ص61.

ترويج المرأة نفسها أو لا بد من تزويجها، فقال: "وقد قررنا ذلك في كتاب الأحكام"⁴⁶، أو على سبيل الوعد كما ذكره عند مناقشة مسألة وجوب صلاة الجماعة، فقال: "وبسط ذلك في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله"⁴⁷. ومن يدقق البحث في المواطن التي أحال ابن كثير على الكتاب فيها يجد تطابقاً بين الموضوع المتخصص في موطن الإحالة وموضع الاستطراد والبسط والشرح من كتاب الأحكام، ومنه ما جاء في كتاب الأحكام الكبير: ذكر ما ورد من الآثار في مسجد دمشق⁴⁸، نجده يتطابق مع موضع الإحالة عليه في البداية والنهاية⁴⁹

- ذكر كثير ممن ترجموا لابن كثير كتابه الأحكام الكبير ضمن كتبه: فقد أشار ابن حجر إلى هذا الكتاب ونسبه إلى ابن كثير فقال: "فجمع التفسير وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يكمل"⁵⁰، وكذلك شابهه بنفس العبارة السيوطي⁵¹، وقد ذكرا الداوودي وابن العماد: أنه "شرع في أحكام كثيرة حافلة كتب منها مجلدات إلى الحج"⁵²

الفرع الثالث: مصادر ابن كثير في كتاب الأحكام الكبير

اعتمد ابن كثير في كتابه الأحكام الكبير على عدد من المصادر العلمية الدقيقة المتخصصة في الحديث والفقه وبعض كتب اللغة، وقد ذكر قسم التحقيق بدار النوادر في مقدمة التحقيق واحداً وتسعين من الموارد التي أخذ منها الحافظ ابن كثير في كتابه الأحكام الكبير⁵³، ولسنا في حاجة إلى ذكرها، ولكن تجب الإشارة إلى ما يلي:

⁴⁶ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 63

⁴⁷ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 246.

⁴⁸ ابن كثير، الأحكام الكبير، ج 1، ص 403.

⁴⁹ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي دمشقي، البداية والنهاية، ج 9، ص 154.

⁵⁰ ابن حجر، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج 1، ص 445.

⁵¹ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، طبقات الحفاظ، ص 534.

⁵² الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين، ج 1، ص 112.

⁵³ ينظر: ابن كثير، الأحكام الكبير، ج 1، ص 41-45.

- إن المصادر التي ذكرها محققو دار النوادر ليست كل مصادر الحافظ ابن كثير في كتابه الأحكام الكبير، لأن هناك سقطت منهم فلم تُذكر، مثل: المطالب العالية لابن حجر، زوائد عبد الله بن الإمام أحمد على مسنده، غريب الحديث للخطابي، أخبار المدينة لعمر بن شبة، وكتاب العرش للذهبي.

- اعتمد الحافظ ابن كثير عدداً من المصادر المفقودة لنا الآن، مثل: مسند عبد بن حميد، كتاب الأذان لأبي الشيخ، وكتابا " المسند والأبواب " للحافظ أبي أحمد العسّالت: 349هـ، وهذا يزيد قيمة الكتاب كما سيأتي في موضعه.

- نقل الحافظ ابن كثير عن عددٍ آخر من المصنفات المخطوطة التي لم تطبع بعد، منها: الغاية في شرح الهداية للحافظ السروجي، وهذا يدفع الباحثين إلى تتبع المخطوط من مصادر ابن كثير بالناية والتدقيق، من التحقيق إلى النشر.

- نقل الحافظ ابن كثير عن بعض شيوخه سماعاً، كقوله عنشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية " قال شيخنا العلامة أبو العباس ابن تيمية: إذا ثبت أن مسجد قباء هو الذي نزلت فيه الآية فلأن يكون المسجد الذي بالمدينة داخلها بطريق الأولى والأخرى" ⁵⁴، وهذه المصادر السماعية التي يذكرها ابن كثير في غالب مصنفاته يغفل عنها كثير ممن يكتب عن ابن كثير، أو يحقق شيئاً من كتبه، الأمر الذي يثير حفيظة طلاب العلم لتتبعها جميعاً من كتب ابن كثير لمعرفة الموارد العلمية التي استقى منها الحافظ ابن كثير رحمه الله.

الفرع الرابع: مقدار ما ألفه ابن كثير من كتابه الأحكام الكبير

بدأ الحافظ بن كثير في كتابه الأحكام الكبير، ، وأولاه جهداً عظيماً يتناسب مع اسمه ورسمه، والظاهر أنه بدأه مع التفسير والبداية والنهاية، قال ابن كثير "وقد وضعت كل حديث مما يتعلق بالأحكام، والتفسير، والتاريخ، في كتبنا الثلاثة والله الحمد والمنة، وما كان فيه وهن شديد بينته، وموضع تحرير ذلك وتقريره، والتفسير عنه في كتابي الأحكام الكبرى" ⁵⁵.

⁵⁴ ينظر: ابن كثير، الأحكام الكبير، ج 1، ص 363.

⁵⁵ ابن كثير، جامع المسانيد والسُّنن الهادي لأقوم سنن، ج 1، ص 61.

و شاء الله تعالى أن يكتمل التفسير والبداية والنهاية، ولا يكتمل كتاب الأحكام، إذ حالت المنية دون ابن كثير وتحقيق الأمنية، فكتب أجزاء من الكتاب ولم يبيضا كلها، وما يُبض فُقد كثير منه، ولم يصل إلينا منه إلا الجزء الثالث من تجزئة الحافظ ابن كثير، وقد طبع قريباً؛ فكانت أول طبعة لهذا الكتاب في (1430هـ، 2010م) بإشراف وتحقيق دار النوادر لكنها لصالح وزارة الأوقاف بدولة الكويت، في ثلاث مجلدات، ثم جاءت الطبعة الثانية لدار النوادر في (1431هـ/2011م) بدأت من كتاب الأذان وانتهت في كتاب صفة الصلاة عند فصل: ما يقوله المصلي في حال ركوعه من أذكار. وقد اختلفت آراء العلماء والباحثين في مقدار ما صنفه ابن كثير في هذا السفر العظيم:

ذكر الحافظ بن حجر أن ابن كثير شرع في كتاب كبير في الأحكام لم يكمل⁵⁶، وأشار في موضع آخر إلى مقدار ما كتبه ابن كثير فقال "وشرع في عمل "الأحكام الكبرى" فبيضا كتاب الطهارة فقط في مجلدين، ووقف على الثالث من أول الصلاة إلى كيفية الركوع ولم ير ما بعده"⁵⁷.

أما الداودي⁵⁸ وابن العماد⁵⁹ فقد ذكرا: أنه شرع في أحكام كثيرة حافلة، كتب منها مجلدات إلى الحج.

والصحيح أن ما كتبه الحافظ بن كثير لم يقتصر على ما وصلنا مخطوطاً ثم مطبوعاً، ولم يقف عند باب الحج كما ذكره الداودي وابن العماد، ولا عند الركوع في الصلاة كما ذكره ابن حجر، بل تعدى ذلك إلى أبواب كثيرة في الفقه، فقد جاءت بعض إحالات الحافظ ابن كثير على كتابه الأحكام الكبير بصيغة الجزم في الماضي بما يعني أنه قد أنهى كتابة موضع الإحالة في الأحكام الكبير، ومثال ذلك:

⁵⁶ ابن حجر، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج1، ص445.

⁵⁷ ابن حجر، العسقلاني، الجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ج2، ص605-606.

⁵⁸ الداودي، محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين، ج1، ص111.

⁵⁹ ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج6، ص231.

ما ذكره في باب الحج " ولهذا اتفق العلماء على أن الشروع في الحج والعمرة ملزم، سواء قيل بوجود العمرة أو استحبابها، كما هما قولان للعلماء، وقد ذكرناهما بدلائلهما في كتابنا الأحكام، مستقصى، والله الحمد والمنة"⁶⁰، ويفهم من هذا النقل انتهاء الحافظ ابن كثير من تأليف أبواب العبادات حتى باب الحج.

وفي باب الكفاءة في النكاح ذكر اختلاف الفقهاء في اشتراط الكفاءة في النكاح وعدمها، ثم قال " وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في كتاب الأحكام والله الحمد والمنة"⁶¹.

وفي باب الجنائيات ذكر قول الجمهور في قتل الجماعة بالواحد ثم قال: " وقد بسطت هذا في كتاب الأحكام والله أعلم"⁶²، وفي حكم السرقة قال رحمه الله " وقد ورد في أحكام السرقة أحاديث كثيرة مذكورة في كتاب الأحكام والله الحمد والمنة"⁶³.

وفي تحريم بيع العينة قال الحافظ ابن كثير " وهو دليل لمن منع بيع العينة على ما جاء فيها من الأحاديث المذكورة المقررة في كتاب الأحكام والله الحمد والمنة"⁶⁴. هذه النقولات السابقة وغيرها جاءت بصيغ الماضي " ذكرنا، مقرر، بسطت، مذكورة، مقررة" وفيها دليل على انتهاء الحافظ ابن كثير من تأليف أبواب العبادات كلها، وغالب أبواب الفقه، مثل "النكاح، والأطعمة، والجنائيات، والحدود، والبيوع" وهي أبواب عظيمة في الفقه، ومنها ما يأتي في آخر كتب الفقه، مما يثبت انتهاء الحافظ ابن كثير من تأليف معظم الكتاب وغالب الأحكام، وليس كما ذكر الداودي وابن العماد عند باب الحج.

وربما كان الحافظ ابن كثير يكتب في الأحكام الكبير بحسب ما يقابله من أحكام عند تصنيف التفسير والبداية والنهاية إلا أنه لم يهتم بتبويض كل ما كتب من الأحكام الكبير، على خلاف عاداته في التفسير والبداية والنهاية، ولعل ابن حجر راوده هذا الترجيح لذلك لم يقطع بموضع توقف ابن كثير في كتاب الأحكام، إنما أشار إلى أن ابن كثير لم يكمل كتابه

⁶⁰ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 393.

⁶¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 363.

⁶² المصدر نفسه، ج 2، ص 451.

⁶³ المصدر نفسه، ج 3، ص 102.

⁶⁴ المصدر نفسه، ج 1، ص 547.

الأحكام⁶⁵، ونصَّ في موضع آخر إلى أن ابن كثير بيض كتاب الطهارة فقط في مجلدين، ووقف على الثالث من أول الصلاة إلى كيفية الركوع ولم يُر ما بعده⁶⁶. وفي لفظه " ولم يُر ما بعده" ليس فيها إثبات انقطاع التأليف عندها، بل فيها احتمال الكتابة بعد هذا الموضوع، مع إثبات عدم وصول شيء من المكتوب، إما لأنه لم يبيض أو لاحتمال ضياعه بعد تبيضه، والله أعلم.

الفرع الخامس: النسخة الخطية التي بين أيدينا

لم يصل إلينا من كتاب الأحكام الكبير إلا الجزء الثالث من تجزئة الحافظ ابن كثير، في مخطوط يحمل رقم 168، بدار الكتب الوطنية في تونس، ويتكون من 253 ورقة، في كل ورقة وجهان، وفي كل وجه 25 سطراً تقريباً، وفي كل سطر 10 كلمات⁶⁷، وقد جاء في آخر صفحة منها ما يفيد أن هذا الجزء كتب قبل وفاة الحافظ ابن كثير بأربع سنوات " نجز الجزء الثالث بمنه وكرمه، وذلك لتاريخ سادس عشر من شعبان سنة سبعين وسبع مئة، تعليقاً بخط الفقير الحقير الذليل المحتاج إلى رحمه ربه وكرمه وجوده وغفرانه: سليمان بن إبراهيم بن داود، الشافعي مذهباً الأنصاري نسباً⁶⁸.

وهذه النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب الوطنية في تونس هي النسخة الوحيدة الموجودة من الجزء الذي وصلنا من كتاب الأحكام الكبير، وعليها اعتمد عليها قسم التحقيق في دار النوادر التي تشرفت بتحقيق هذا الجزء ونشره⁶⁹، ومن المخطوط أخذت نسخ مصورة منها نسخة في الجامعة الإسلامية في قسم المخطوطات برقم 616، وقد اعتمدت على

⁶⁵ ابن حجر، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج1، ص445.

⁶⁶ ابن حجر، العسقلاني، الجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ج2، ص605-606.

⁶⁷ ينظر: ابن كثير، الأحكام الكبير، ج1، ص49.

⁶⁸ المصدر نفسه، ج3، ص342.

⁶⁹ أشرفت دار النوادر على تحقيق الكتاب في طبعته الأولى والثانية، حيث طبع الكتاب في المرة الأولى سنة 1431/2010 لصالح وزارة الأوقاف الكويتية، ثم كانت الطبعة الثانية سنة 1432/2011، محفوظة بجميع حقوقها لدار النوادر.

النسخة المصورة في الجامعة الإسلامية دراسات أكاديمية كثيرة في قسم الحديث؛ وقفتُ على دراسة منها، تناول فيها الباحث مختاري رابع في كلية أصول الدين بالجزائر تحقيق جزء من أول كتاب الأذان إلى نهايته، تحت إشراف الدكتور: فركوس.

3- أهمية كتاب الأحكام الكبير عند الحافظ ابن كثير

يعد كتاب الأحكام الكبير من أشمل وأعم كتب ابن كثير، بدأ الكتابة فيه مع التفسير والبداية والنهاية، غير أن كتاب الأحكام حُص بمزيد من التحريات والترجيحات في الفقه والحديث على حدٍ سواء، لهذا جاء الكتاب فريداً من نوعه، في مقدمة إبداعات كتاباته، ولو قدر له التمام لكان على رتوة من كتب الأحكام⁷⁰، وللكتاب أهمية عليّة وقيمة علمية يجدها كل باحث في كتاب الأحكام الكبير لابن كثير، وتتجلى قيمة الكتاب العلمية عند مؤلفه ابن كثير ثم من بعده من العلماء والدراسين في ثلاثة مطالب:

3.1- إحالة ابن كثير على كتابه الأحكام الكبير

كثُرَتْ إحالة الحافظ بن كثير في عددٍ من كتبه على كتابه الأحكام الكبير، وهذه الإحالة المتكررة من الحافظ ابن كثير على هذا الكتاب، دليل على أهمية الكتاب ومنزلته عنده، وتظهر الأهمية من الإحالة على الكتاب في ضوء ما يلي:

أ: تعكس لنا الإحالات على كتاب الأحكام الكبير التصور العام للكتاب كما تمناه ابن كثير: يستقرئ الباحث من الإحالات على كتاب الأحكام الكبير الصورة التي حددها ابن كثير في عقله ليسير عليها في كتابه، والحدود التي يرنو إليها، وإن حال الموت دون تحقيق ما أراد بلوغه في كتابه.

والحقيقة التي يدركها الباحث من إحالات ابن كثير أن صورة الكتاب في عقله تجمع جميع أبواب الفقه من:

⁷⁰ ابن كثير، الأحكام الكبير، ص 6.

العبادات: ويشهد لذلك إحالات كثيرة في باب العبادات، ابتداءً بالطهارة والصلاة وانتهاءً بالحج والعمرة، ومثال ذلك:

في باب الطهارة والصلاة أحال ابن كثير على كتابه الأحكام الكبير في عددٍ من المسائل منها: قيام التيمم مقام الماء⁷¹، وفي الأذان وتحويل القبلة⁷²، وجوب صلاة الجماعة⁷³، وهل تجزئ الصلاة بقراءة شئ من القرآن غير الفاتحة⁷⁴، وصفة صلاة الخوف⁷⁵، وغيرها.

وفي باب الزكاة أحال ابن كثير على كتابه الأحكام الكبير في معرض ذكره حديث " الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ورجل سترن وعلى رجل وزر. . . " ⁷⁶.

وفي باب الصيام أحال على كتابه الأحكام الكبير في حكم صيام يوم عاشوراء عند ذكره حديث عائشة رضي الله عنها "كان عاشوراء يصام، فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر"⁷⁷، قال رحمه الله "وللبخاري عن ابن عمر وابن مسعود مثله، ولتحرير هذا موضع آخر من التفسير ومن الأحكام الكبير"⁷⁸.

وفي باب الحج والعمرة أحال ابن كثير على كتاب الأحكام الكبير في مسائل أشهرها: اختلاف العلماء في حكم العمرة بين الوجوب والاستحباب⁷⁹، واختلاف العلماء في كون فسخ الحج إلى العمرة لمن لم يسق الهدي هل كان خاصاً بالصحابة أو عاماً، وهل نسخ أو لم ينسخ⁸⁰.

⁷¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص60.

⁷² المصدر نفسه، ج2، ص336، 367.

⁷³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص246.

⁷⁴ المصدر نفسه، ج1، ص109.

⁷⁵ المصدر نفسه، ج2، ص402.

⁷⁶ البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب شرب الناس والدواب من الأنهار،

رقم 2371، ج5، ص52.

⁷⁷ المصدر نفسه، كتاب بدء الوحي، باب: أيام الجاهلية، رقم 3831، ج5، ص51.

⁷⁸ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، السيرة النبوية، ج2، ص379.

⁷⁹ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص534.

⁸⁰ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، السيرة النبوية، ج14، ص332.

المعاملات والبيوع: أحال ابن كثير في عددٍ من أبواب المعاملات إلى كتابه الأحكام الكبير مثل: اختلاف الفقهاء في كون جواز الرهن مشروط بالسفر⁸¹، وتحريم بيع العينة⁸²، وفي باب المزارعة⁸³.

النكاح وما يتعلق به: أحال ابن كثير في عددٍ من أمهات المسائل في باب النكاح إلى كتابه الأحكام الكبير، ومنها: تحريم زواج المتعة⁸⁴، وإباحة الأمة المشتركة، وهل بيع الأمة يعد طلاق أو لا؟⁸⁵، واشتراط الكفاءة في الزواج⁸⁶، واختلاف الفقهاء في تولي الابن عقد زواج أمه بمحض النبوة⁸⁷، وهل التحريم بالرضاع ينتشر إلى لبن الفحل أي من الرضاع من جهة الأب أو هو قاصر على الرضاع من الأم⁸⁸.

الجنایات والحدود والقضاء: هذا الباب من أعظم أبواب الفقه، وقد جاءت إحالة ابن كثير في عددٍ من مسائله على كتاب الأحكام الكبير، ومنها: أحكام السرقة⁸⁹، قتل الجماعة بالواحد⁹⁰، أحكام القتل العمد في الدنيا وسلطان أولياء المقتول على القاتل⁹¹، واختلاف العلماء في مقدار دية الكافر⁹²، وقضايا الصحابة وأسانيدها⁹³.

⁸¹ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص727.

⁸² المصدر نفسه، ج1، ص547.

⁸³ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، ج6، ص354.

⁸⁴ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص226.

⁸⁵ ابن كثير، السيرة النبوية، ج3، ص644.

⁸⁶ ابن كثير، السيرة النبوية، ج7، ص363.

⁸⁷ المصدر نفسه، ج3، ص175.

⁸⁸ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص249.

⁸⁹ المصدر نفسه، ج3، ص102.

⁹⁰ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، مسند الفاروق، 2/451.

⁹¹ المصدر نفسه، ج2، ص381.

⁹² المصدر نفسه، ج2، ص332.

⁹³ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، 3/173.

الأطعمة: أحال فيها ابن كثير على كتابه الأحكام الكبير في مسألة تحريم الميتة وهل المضطر يأكل منها بقدر الضرورة أو له أن يشبع ويتزود منها⁹⁴، ومسألة تحريم الحمر الأهلية وجواز أكل الخيل⁹⁵.

اللباس: أحال فيه ابن كثير على كتابه الأحكام الكبير في تقصي ما كان يلبسه النبي صلى الله عليه وسلم⁹⁶.

الجهاد والسياسة الشرعية: أحال ابن كثير في باب الجهاد والسياسة الشرعية على كتابه الأحكام الكبير في مسائل عديدة، منها: أحكام أهل السواد وما يتعلق بالخراج⁹⁷، وكون الإمام مخير في الأسير بين القتل أو العفو أو المفاداة أو الاسترقاق⁹⁸، وحكم تعيين إمامين في وقت واحد⁹⁹، وذكر الشروط العمرية وما يتعلق بها في أحكام الصلح¹⁰⁰، وفقه الحديث المذكور في بناء الكعبة¹⁰¹، وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها "لولا قرب عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس إبراهيم فأزيد في الكعبة من الحجر"¹⁰²، وهذا الحديث الشريف عليه مدار السياسة الشرعية لما فيه من فقه المصالح والمفاسد التي تقوم عليها السياسة الشرعية.

⁹⁴ المصدر نفسه، ج3، ص26.

⁹⁵ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، السيرة النبوية، ج3، ص364.

⁹⁶ المصدر نفسه، ج3، ص713.

⁹⁷ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، ج7، ص56.

⁹⁸ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص307.

⁹⁹ المصدر نفسه، ج1، ص130.

¹⁰⁰ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، ج7، ص69.

¹⁰¹ المصدر نفسه، ج8، ص263.

¹⁰² البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: فضل مكة وبنائها، رقم1585،

ج2، ص180.

العقائد: تناول ابن كثير مسائل العقيدة في سائر كتبه تأصيلاً وتفصيلاً، وأحال إلى عدد منها على كتابه الأحكام الكبير، ومن ذلك: ذكر ما يتعلق بالأنبياء وخصائصهم، وما ورد في زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم¹⁰³، واختلاف العلماء في سماع الميت بعد دفنه¹⁰⁴. من الأمثلة الكثيرة السابقة للإحالة على كتاب الأحكام الكبير تتأكد لنا الصورة التي كان ابن كثير يرنو إليها، وهي جمع كل ما يتعلق بالأحكام من جميع أبواب الفقه، وكل مظان الأحكام، فقد أراد ابن كثير رحمه الله أن يجعل كتابه جامعاً لكل ما يحتاج إليه المسلم من أحكام، حتى ما يتعلق بالسياسة الشرعية، وغيرها مما يهمله كثير من الفقهاء في كتبهم، أثبتته ابن كثير في كتابه على طريقة المحدثين، وبهذا فاق ابن كثير من كتبوا قبله في الأحكام¹⁰⁵، بما أراد أن يضع في كتابه من الشمول والإمام.

ب: تعدد الكتب التي يحيل فيها ابن كثير على كتابه الأحكام الكبير: جاءت إحالات ابن كثير على كتابه الأحكام الكبير في عددٍ من كتبه، فقد وقعت الإحالة في ثمانية مواضع في "التفسير"¹⁰⁶، وأكثر من سبعة عشر موضعاً في "البداية والنهاية"¹⁰⁷، وأكثر من ثلاثة

¹⁰³ ابن كثير، السيرة النبوية، ج4، ص548.

¹⁰⁴ المصدر نفسه، 451/2.

¹⁰⁵ عمد عدد من الفقهاء إلى جمع أحاديث الأحكام وشرحها بعد ترتيبها على أبواب الفقه - قبل الحفاظ بن كثير - لكنهم لم يصلوا إلى الفوائد والمسائل التي أدرجها ابن كثير في كتابه الأحكام الكبير - لولا قدر الله تعالى أن الكتاب لم يكتمل - ومن هؤلاء العلماء: عبد الحق الإشبيلي ت 581، في كتبه الثلاثة: الأحكام الكبرى، والوسطى، والصغرى. والإمام عبد الغني المقدسي ت 600، في كتابه المعروف: عمدة الأحكام، وغيرهم من العلماء.

¹⁰⁶ ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص727، 246، 109.

¹⁰⁷ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، ج2، ص186.

مواضع في ((اختصار علوم الحديث))،¹⁰⁸ وموضوعاً في مقدمة كتاب ((جامع المسانيد والسنن))¹⁰⁹، وغيرها كالسيرة النبوية، ومسند الفاروق.

وكثرة الإحالة مع تنوع الكتب التي يحيل فيها، توضح أهمية هذا الكتاب كما يلي:

- ابن كثير عالم له منهج محدد المعالم يعرف ماذا وكيف ولماذا يكتب، فهو يأخذ من خزائن أفكاره في كتبه المتعددة، وقد أراد أن يجعل من كتابه الأحكام الكبير مكتبة موسوعية لعلومه الموثوقة في سائر كتبه.

- خطة ابن كثير الخاصة بكتابه الأحكام الكبير كانت ترافقه في رحلة تأليف غيره من المصنفات، سواء أكان التأليف قبله أو معه في نفس الوقت.

- كثرة الإحالة على الكتاب تدعو الباحثين إلى تقصي المسائل التي أحالها ابن كثير إلى كتابه الأحكام الكبير، فإن أفاد الباحث المسألة فيما معنا من الكتاب فتلك غنيمة غالية، وإن كانت الإحالة على جزء مفقود أوجب ذلك على الباحثين تتبعها في مظانها من كتب ابن كثير الأخرى، أو من غيرها من المصادر، لأن الإحالة تولد شعور الرغبة في الوقوف على كمال المسألة.

3.2- تفرد الحافظ بن كثير بعدد من الفوائد الحديثية في كتابه الأحكام الكبير

جاء كتاب الأحكام الكبير للحافظ ابن كثير على غرار كتب سبقتة في هذا المضمار، غير أنه تميز عنهم بطريقة منهجية مكنته من التفرد بعدد من الفوائد الحديثية التي أضفت قيمة للكتاب، وأعلت منزلته العلمية، ومكانته بين طلاب العلوم الشرعية، ومن الفوائد في علم الحديث التي تميز بها الحافظ ابن كثير في كتابه الأحكام الكبير ما يلي:

¹⁰⁸ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، الباعث الحثيث، ج1، ص400، 155، 96.

¹⁰⁹ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن، ج1، ص61.

أ: حكمه على بعض الأحاديث وتعقبه المحدثين قبله في ذلك: وهذا الباب عظيم الفائدة؛ لاسيما في كتب الأحكام الشرعية، فإن الأحكام لا يقبل فيها إلا الحديث الصحيح، وقد امتاز ابن كثير في ذلك، فلم يذكر حديثاً في كتابه الأحكام الكبير إلا بيّن درجته وحكم عليه نقلاً عن سبقه أو اجتهاداً منه رحمه الله، وربما تعقب من قبله من المحدثين في حكمهم على بعض الأحاديث، ومثال حكم الحافظ ابن كثير على بعض الأحاديث بالضعف: ما ذكره في ضعف جميع الأحاديث الواردة في تعليم ألفاظ الأذان ليلة الإسراء، فقد ذكر رحمه الله تعالى ثلاثة أحاديث فيها الأذان ليلة الإسراء وذكر علة كل حديث منها وضعفه، ثم قال "فكل هذه الأحاديث لا يثبت منها شيء، وإنما أوردناها ليعرف الناس زيفها، وأنها كذب، مخالفة لما ثبت، . . . والذي ثبت في الصحيح في ليلة الإسراء، قال - فحانت الصلاة فأمتهم¹¹⁰ - ولم يذكر أذانا، ولو كان الأذان من ليلة الإسراء بمكة لم يحتج إلى التروي فيما يجمع الناس للصلاة"¹¹¹.

وفي باب اختصاص الفجر بجواز الأذان لها قبل وقتها ذكر عدداً من الأحاديث الصحيحة "إن بلائاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم"¹¹²، ثم ذكر عدداً من الروايات التي انقلب فيها متن الحديث على الراوي بما يفيد أن ابن أم مكتوم هو الذي يؤذن بليل¹¹³، ثم تعقب ذلك بقوله "وهو غلط، وإن كان رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما وكذا الحاكم في مستدركه"¹¹⁴. وتعقب الدراقطني فيما رواه عن علي بن محمد المصري، عن المقدم بن داود، عن علي بن معبد، عن إسحاق بن أبي يحيى الكعبي، عن ابن جريج، عن عطاء،

¹¹⁰ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، باب: إسلام خفاف بن نضلة الثقفي، رقم 448، ج2، ص358.

¹¹¹ ابن كثير، الأحكام الكبير، ج1، ص35.

¹¹² البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب أذان الأعمى إذا كان له من يخبره، رقم 617، ج1، ص160.

¹¹³ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، السنن الكبرى، باب: إسلام خفاف بن نضلة الثقفي، رقم 1815، ج3، ص78.

¹¹⁴ ابن كثير، الأحكام الكبير، ج1، ص90-94.

عن ابن عباس قال: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن يطرب صوته، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الأذان سهل سمح، فإذا كان أذانك سهلاً سمحاً، وإلا فلا تؤذن»¹¹⁵ قال ابن كثير " هذا حديث ضعيف؛ لأن المقداد بن داود الرعيني ضعفه النسائي وغيره، وكذا إسحاق بن أبي يحيى الكعبي ضعفه ابن حبان، وابن عدي، والدارقطني، والصحيح: وأن هذا من كلام عمر بن عبد العزيز، كما حكاه البخاري، ورواه ابن أبي شيبه¹¹⁶، وتعقب الحاكم بعد ذكره حديث « إذا أذنت فترسل في أذانك، وإذا أقيمت فاحذر، . . . »¹¹⁷، قال الحاكم معلقاً على هذا الحديث: هذا إسناد بصري، وهذه اللفظة من الحاكم توحى بصحة الحديث وعلّة إسناده؛ لذلك تعقبه ابن كثير بقوله " وهو إسناد ضعيف لا يُفرح به، وبه عمرو بن عائذ هذا متروك، واتهمه علي بن المديني بالكذب"¹¹⁸. وتعقب ما رواه ابن أبي الدنيا عن عبيد بن زحر، عن علي بن أبي يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ إبليس لم أنزل إلى الأرض قال يارب أنزلني إلى الأرض وجعلتني رجيماً، فاجعل لي بيتاً، قال: الحمام. . . »¹¹⁹، قال ابن كثير " وفي إسناده ثلاثة من الضعفاء، قال ابن حبان: إذا اجتمعوا في حديث، فهو مما عملته أيديهم"¹²⁰.

ب: تحرير ما تحتاج إليه ترجمة الراوي: لأن الحكم على الحديث يكون نتيجة الحكم على رواته، لهذا نجد الحافظ ابن كثير لا يصدر حكماً على حديث إلا بعد دراسة الرواة وتراجهم دراسة وافية، وجهوده في ذلك تدور بين إزالة الإشكال الوارد على اسم الراوي لتحريره من اللبس بغيره، وتعريفه ببعض الرواة الذين يقعون في بعض الأسانيد، وتصحيحه بعض أخطاء

¹¹⁵ بن شاهين، عمر بن أحمد بن عثمان، الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، ج1، ص564.

¹¹⁶ ابن كثير، الأحكام الكبير، ج1، ص148.

¹¹⁷ الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الأوسط، باب: من اسمه أحمد، رقم1952، ج2، ص269.

¹¹⁸ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، الأحكام الكبير، ج1، ص151.

¹¹⁹ ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، مكائد

الشیطان، باب: حديث الشيطان إلى ربه عز وجل، رقم43، ج1، ص63.

¹²⁰ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، الأحكام الكبير، ج1، ص295-296.

الرواة، وحكمه على الرواة، ومن ذلك: أن الحافظ ابن كثير ذكر قصة الأذان بروايات متعددة؛ منها رواية عبد الله بن زيد صاحب الرؤيا، ثم أزال ابن كثير الإشكال الوارد عند البعض في عبد الله بن زيد، فذكر أنه عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن الجراح، الأنصاري، الخزرجين أبو محمد، المدني، شهد العقبة وبدراً، وكانت وفاته بالمدينة سنة 32هـ، ورد ابن كثير على زعم سفيان بن عيينه أنه عبد الله بن زيد بن عاصم، وأشار إلى ما روى كل منهما من أحاديث، وترجم للأخير بما يكفي لإزالة الإشكال¹²¹. وقد ينص على خطأ بعض الرواة أو تصحيفهم كما في ذكر قصة الأذان عن عبد الله بن زيد وفيه " فذكروا له القنع، فلم يعجبه ذلك، قال: هو من أمر اليهود. . . " نقل ابن كثير عن الخطابي والحب الطبري أن القنع: روي بالباء والتاء والثاء، ثم قال ابن كثير " والظاهر ان ذلك تصحيف من الرواة، وبالباء أقربها؛ لأنه يقبع قم صاحبه؛ أي يستره؛ أو من قبعت الجواقق والجراب، إذا أثبتت أطرافه إلى داخل"¹²²، ومن حكمه على الرواة: قوله في حق عبد الرحمن بن إسحاق: هذا مدني يعرف بعباد، ثقة من رجال مسلم¹²³. وقوله في عبد الله بن نافع: تكلم فيه علي بن المديني، ويحيى بن معين، والبخاري، وغير واحد من الأئمة"¹²⁴، وقوله في حق زياد بن المنذر: هو زياد بن المنذر الجارود، الكوفي، الأعمى، وإليه تنسب الفرقة الجارودية، من الروافض. . . فقد اتفق أئمة الجرح والتعديل على جرحه وتركه"¹²⁵.

ج: ينقل الحافظ ابن كثير بعض فوائد علم الحديث عن شيوخه: وهذا يعطي الكتاب أهمية عالية، ومنزلة عظيمة، حيث يكون ابن كثير هو الصلة بيننا وبين شيوخه الذين تلقى عنهم.

ومن شيوخه الذين نقل عنهم فوائد حديثية في كتاب الأحكام:

¹²¹ ينظر: المصدر نفسه، ج 1، ص 18-19.

¹²² ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، الأحكام الكبير، ج 1، ص 14-16.

¹²³ المصدر نفسه، ج 1، ص 28.

¹²⁴ المصدر نفسه، ج 1، ص 30.

¹²⁵ المصدر نفسه، ج 1، ص 32.

الحافظ أبو الحجاج المزي: ذكر عنه فوائد كثيرة في الحكم على الرواة والأحاديث وضبط نصوصها، منها تعليق المزي على حديث "إن سين بلال عند الله سيناً" قال ابن كثير "قال شيخنا الحافظ العلامة المزي- رحمه الله:- هذا الحديث لا أصل له، ولم يكن بلال كذلك، إذ كان من مؤلّدي مكة، وكان من أفصح الناس" ¹²⁶، وفي حديث سليك الغطفاني حين جاء ورسول الله يخطب، فقال له: «أصليت قبل أن تجلس؟» قال: لا، قال: «قم فاركع ركعتين»، قال ابن كثير "وكان شيخنا أبو الحجاج المزي يرجح هذه الرواية: «قبل أن تجلس» على ما وقع في النسخ: «قبل أن تجيء» ¹²⁷،

الحافظ الذهبي: نقل عنه فوائد منها: تعليق الذهبي على ما رواه الحاكم عن أنس "أن رسول الله كان يجهر ب" بسم الله الرحمن الرحيم" في الفريضة"، قال ابن كثير "وقد أورده شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي فيما انتخبه من المستدرک، ثم قال: اما استحي المصنف أن يورد هذا الحديث الموضوع، فأشهد بالله والله بأنه كذب، بل الحديث صحيح ثابت عن مالك، سقطت منه لفظ "لا" ¹²⁸.

د: يسوق الحافظ ابن كثير عدداً من الأحاديث بسندها المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: وتلك قيمة كبيرة، ومنقبة عظيمة، حلت على كتاب الأحكام الكبير، ومثال ذلك ما بدأ به الحافظ ابن كثير باب: آداب دخول المسجد والجلوس فيه، والخروج منه، قال الحافظ بن كثير: حدثنا شيخنا الإمام العالم العلامة الحافظ جمال الدين أبو الحجاج المزي- تغمده الله برحمته- وغيره قالوا: أنا الشيخ شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ عمر المقدسي وغير واحد قالوا: أنا حنبل بن عبد الله الرصافي، أنا أبو القاسم هبة الله بن الحصين الشيباني، أنا أبو الحسن علي بن المذهب التميمي، أنا أحمد بن حمدان بن مالك القطيعي، أنا عبد الله بن الإمام أحمد، حدثنا أبي- رحمه الله- قال: حدثنا أبو معاوية، ثنا الليث، عن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة، يعني: بنت الحسين، عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

¹²⁶ المصدر نفسه، ج1، ص155.

¹²⁷ المصدر نفسه، ج2، ص139.

¹²⁸ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، الأحكام الكبير، ج3، ص41-42.

قالت: كان رسول الله إذا دخل المسجد قال: «بسم الله، والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك» وإذا خرج قال: «بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك»¹²⁹.

3.3- المنهج الفقهي لابن كثير في كتابه الأحكام الكبير

تميز الحافظ بن كثير في كتابه الأحكام الكبير بالجمع بين طريقة المحدثين والفقهاء والإفادة منهما جميعاً؛ في جمع كتابه وعرض مسأله، مما يضيفي على الكتاب عبير الفقه بمسحة أهل الحديث؛ فتزيد أهمية الكتاب عند طلاب الفقه وأهل الحديث، وتتضح مكانة الكتاب عند مؤلفه الحافظ ابن كثير، ويمكننا بيان المنهج الفقهي للحافظ ابن كثير في كتابه الأحكام الكبير فيما يلي:

أ: حسن تقسيم الكتاب، والتركيز على احتمال الترجمة ما تحتها من أحكام كطريقة المحدثين، فيقسم إلى كتاب ثم باب ثم فصل، ثم فرع، ففي كتاب الأذان مثلاً: ذكر اثني عشر باباً، تضمنت واحداً وعشرين فصلاً، وخمسة فروع، وقد يستخدم كلمات بين الفصول والفروع مثل: قوله: ذكر كذا وكذا، وكلمة تنبيه، وكلمة: مسألة¹³⁰، ولا شك أن هذه التقسيمات تجعل الكتاب سهل المأخذ، ميسور البحث، وقد مثلت تراجم ابن كثير وعناوين أبوابه في كتاب الأحكام الكبير طريقة المحدثين الكبار في دلالة الترجمة على كثير من الفقه، وعظيم الفهم، كقول ابن كثير رحمه الله "باب: اختصاص الفجر بجواز الأذان لها قبل وقتها"¹³¹.

ب: ذكر الحافظ ابن كثير عدداً من المسائل التي ربما أغفلها غيره من الفقهاء: ومثاله ما جاء في كتاب استقبال القبلة؛ فقد ذكر - رحمه الله تعالى - تنبيهات ومسائل دقيقة يحتاج إليها المسلم؛ منها: أن ما بين المشرق والمغرب قبلة لأهل الجنوب والشمال، وأن من رأى

¹²⁹ حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب أحاديث فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، رقم 26417، ج 44، ص 16.

¹³⁰ ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، الأحكام الكبير، ج 1، ص 9، ص 282.

¹³¹ المصدر نفسه، ج 1، ص 83.

محارب المسلمين في بلد صلى إليها ولم يجتهد قولاً واحداً، ونقله عن ابن قدامة: أنه يستدل بمحارب النصارى على جهة القبلة، لأنهم يصلون إلى المشرق، فتُعرف القبلة حينئذٍ؛ يعني: إذا جعلها عن شماله، وذكره باباً كاملاً يشرح فيه كيفية معرفة القبلة عن طريق الفلك، بمعرفة القطب الشمالي، وعقد فيه فصلاً في مثال الكعبة المشرفة، وأركانها الأربعة، وارتفاعها، واتساعها، وفيه ذكر قبلة كل قطر وموقعه من الكعبة وما يستدل به أهل كل قطر عليها¹³².

ج: التوسع في ذكر المسائل بأدلتها، مع تحرير الخلاف في عددٍ من رءوس المسائل الفقهية الخلافية: عند مطالعة كتاب الأحكام الكبير يرى الباحث نفسه أمام عالم موسوعي، فما تمَّ مسألة يذكرها إلا يبسط القول فيها، ويذكر ما ورد من أدلة وما جاء من أقوال، بأسلوب سهل، وجمع فريد، وترجيح عجيب، ولا يقتصر الحافظ ابن كثير على جمع المسائل وأدلتها ومذاهب العلماء فيها؛ بل إنه يحرر الخلاف، ويوجه الأدلة، ويرجح ما وافق الحق عنده، وفيما بين أيدينا الآن مما طُبِع من الكتاب عدد من المسائل الخلافية المهمة، أقام عليها ابن كثير بكل تجرد فعرض مذاهبها وأدلتها ثم حسم الخلاف بترجيح ما أراه إليه اجتهاده - رحمه الله - ، ومثال ذلك:

اختلاف المذاهب في عدد كلمات الأذان والإقامة؛ فقد ذكر في ذلك الأحاديث التي نقلت صيغ الأذان وصورته، لأن عليها مدار الحكم، فكانت ثلاثة أحاديث بروايات كثيرة متباينة، وهي حديث أبي مخذرة¹³³، وحديث عبد الله بن زيد¹³⁴، ثم حديث أنس في الأمر لبلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة إلا الإقامة¹³⁵، ومن عرض الأحاديث برواياتها المختلفة ذكر مذاهب الأئمة مع توجيه دليل كل منهم، ختم بحثه بقوله "وحاصل هذا القول هو الأخذ: إما بحديث أبي مخذرة في أذانه وإقامته، وإما بحديث عبد الله بن زيد في أذانه وإقامته،

¹³² ينظر: المصدر نفسه، 2/ 219، 223، 221، 233، 248.

¹³³ الترمذي، أبو عيسى، سنن الترمذي، باب الترجيع في الأذان، رقم 191، ج 1، ص 366.

¹³⁴ حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب حديث عبد الله بن زيد بن عبد ربه، رقم 16524، ج 4، ص 42.

¹³⁵ البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب الأذان مثنى مثنى، رقم 605، ج 1، ص 157.

ولا يركب منهما مذهباً. . . يأخذ بأذان أبي محذورة، وإقامة عبد الله بن زيد¹³⁶. ومن أمهات المسائل التي ذكرها: اختلاف العلماء في وجوب تعيين قراءة الفاتحة في الصلاة وصحة الصلاة بقراءة ما تيسر من القرآن غير الفاتحة¹³⁷، الجهر بالبسملة والإسرار بها¹³⁸، وما قرره في باب القراءات القرآنية¹³⁹.

د: اعتماد الحافظ ابن كثير في ترجيحه على الإجماع: وهذا مما تميز به الحافظ بن كثير في سائر كتبه، فلا يعدو الإجماع إن ثبت، لأن الإجماع أصل معتبر له حجتيه، ومن مواطن الإجماع التي ذكرها ابن كثير في الأحكام الكبير: الإجماع على أن من رأى محاريب المسلمين في بلد صلى إليها ولم يجتهد¹⁴⁰. الإجماع على أن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها حق.¹⁴¹، وإذا لم يجد في المسألة إجماعاً يتوجه ابن كثير إلى قول الجمهور في الترجيح، ومثال ما نقل فيه قول الجمهور: إفراد الإقامة وتثنية الأذان، استحباب التشويب في أذان الفجر خلافاً لمن قال مكروها كالشافعي في القديم، اختصاص الفجر بجواز الأذان لها قبل وقتها خلافاً لمن قال بعدم جواز ذلك كأبي حنيفة¹⁴².

هـ: مراعاة القواعد الفقهية والمقاصد الشرعية في الترجيح: تمثل القواعد الفقهية المنهج الضابط لاستنباط الأحكام من النصوص الشرعية، وتحدد لنا المقاصد الشرعية صحة أو خطأ تلك الأحكام المستنبطة؛ وذلك بمعرفة مدى تحقيقها للمقاصد الشرعية وقربها أو بعدها منها، ومن القواعد الفقهية التي تظهر في توجيهات الحافظ ابن كثير في كتاب الأحكام الكبير: الجمع

¹³⁶ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، الأحكام الكبير، ج 1، ص 57.

¹³⁷ المصدر نفسه، ج 2، ص 436.

¹³⁸ المصدر نفسه، ج 3، ص 24، 93.

¹³⁹ المصدر نفسه، ج 3، ص 229، 250، 253.

¹⁴⁰ المصدر نفسه، ج 2، ص 221-222.

¹⁴¹ المصدر نفسه، ج 3، ص 9.

¹⁴² المصدر نفسه، ج 1، ص 55، 67، 71، 83.

أولى من التعليل وادعاء النسخ، الإثبات مقدم على النفي، إذا تعارض خبر أحدهما صحيح لم يقدّم الضعيف مقام الحجة، المرسل عند كثير من العلماء حجة، لاسيما عند الحنفية¹⁴³.
 و: ينقل بعض آراء شيوخه لاسيما شيخ الإسلام ابن تيمية: ظهر ذلك في مواطن عديدة من كتاب الأحكام الكبير، ومن ذلك: رد شيخ الإسلام ابن تيمية على المبرد في دعواه جواز الأذان بقول: الله أكبر بفتح الراء لنقل الفتح إليها بعد جزمها، كنقل الفتح إلى الميم عند الوصل في أول سورة آل عمران: ألم - اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (آل عمران: 1-2)¹⁴⁴، وكذلك نقل نقلاً مطولاً في سبع صفحات من كلام شيخ الإسلام في الأحرف السبعة والقراءات المتواترة والشاذة وما يتعلق بها¹⁴⁵، وكذلك نقله فتوى من نوادر شيخ الإسلام بن تيمية: أنه أفتان النساء أن يجتمعن بين الظهر والعصر في المنزل يوم الحمام، ولو بالتيمم، لئلا تفوتن صلاة العصر يومئذ، بسبب انشغالهن عنها كما هو الواقع غالباً، ثم قال ابن كثير " فرأى أن جمعها إلى الظهر في المنزل، أولى من فعلها في الحمام، وكان شيخنا المزي يرى ذلك"¹⁴⁶.

هذه بعض الملامح التي نستقرئ منها أهمية كتاب الأحكام الكبير عند مؤلفه الحافظ ابن كثير، وفيها شحذ عزائم الباحثين لدراسة الجزء المطبوع الآن من هذا السفر العظيم، فإن في دراسته فوائد جلييلة تسر الناظرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاماً على سيد الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه والمؤمنين.

4- الخاتمة:

أولاً: نتائج البحث

¹⁴³ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، الأحكام الكبير، ج 1، ص 55، 137.

¹⁴⁴ ينظر: المصدر نفسه، ج 1، ص 19.

¹⁴⁵ ينظر: المصدر نفسه، ج 1، ص 243-150.

¹⁴⁶ المصدر نفسه، ج 1، ص 297.

توصل الباحث من خلال ماسبق إلى:

- 1) الحافظ ابن كثير ت (774هـ) من العلماء المجتهدين الذين تميزوا بالضبط واتباع الدليل.
- 2) كانت مؤلفات الحافظ ابن كثير، مؤلفات موسوعية، ومن أهمها كتاب الأحكام الكبير، الذي كثرت الإحالة إليه، غير أنه لم يكتمل، ويرجح الباحث أنه قد كتب منه كثيراً، ولم يببضه، أو يببضه ثم ضاع فلم يصلنا.
- 3) كثرة إحالة الحافظ بن كثير على كتاب الأحكام الكبير في العديد من كتبه تُظهر أهمية الكتاب عنده، وتوضح خطته المنهجية فيه.
- 4) يُعد كتاب الأحكام الكبير موسوعة في علم الحديث بما فيه من فرائد الفوائد ونفائس المسائل.
- 5) جرى الحافظ ابن كثير في عرض الأحكام الفقهية على طريقة المحدثين.

ثانياً: التوصيات

- بعد هذه الدراسة عن كتاب الأحكام الكبير للحافظ ابن كثير، أجد ضرورة تقديم هذه التوصيات إلى الباحثين:
- 1) ضرورة توجيه عناية الباحثين إلى المخطوط من مصنفات ابن كثير والقيام عليها تدقيقاً وتحقیقاً.
 - 2) ضرورة العناية بكتاب الأحكام الكبير ودراسته من زوايا متعددة، فهو بحر ثقافي، ومنهل علمي.
 - 3) دفع الباحثين إلى تقصي إحالات ابن كثير على كتابه الأحكام الكبير منسائر كتبه ودراستها بنفس منهجه الذي سلكه في الجزء الذي وصلنا من كتاب الأحكام الكبير.

المصادر والمراجع:

REFERENCES:

- Al-Baihaqī Aḥmed bin al-Ḥusayn bin ‘Alī bin Mūsā. (2011). Al-Sunan al-Kubrā. Taḥqīq: ‘Abdullah bin ‘Abd al-Muhsein al-Turkī, al-Saūdiyah: Markaz Hajar, Ed.1.
- Al-Baihaqī, Aḥmed bin al-Husayn bin Mūsā. (1988). Dalāil al-Nubuwwāt wa Ma’rifat Aḥwāl Ṣāḥib al-Sharī‘ah. Taḥqīq: ‘Abd al-Mu’ṭī Qala’ji, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Ed.1.
- Al-Bukhārī, Moḥammed bin Isma’īl. Saḥīḥ al-Bukhārī, Kitāb Bada’ al-Waḥy, al-Qāherah: Dār al-Sya’b, Ed.1.
- Al-Dawūdi, Moḥammed bin ‘Alī bin Aḥmed. (n.d). Ṭabāqāt al-Mufasssīrīn. Taḥqīq: Lajnah min al-‘Ulamā’, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, unedited.
- Al-Hamawī, Abū ‘Abdullāh Yāqūt bin ‘Abdullāh. (n.d). Mu’jam al-Buldan. Beirut: Dār al-Fikr, unedited.
- Al-Husaynī, Abū al-Mahāsein Moḥammed bin ‘Alī bin al-Ḥasan. (1998). Zil Tazkirat al-Hafāz. Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Ed.1.
- Al-Nu’aymī, ‘Abd al-Qadir bin Moḥammed al-Nu’aymī al-Damsyiqī. (1990). Al-Dāris fi Tāriḥ al-Madāris. Taḥqīq: Ibrāhīm Shams al-Dīn, n.p, Ed.1.
- Al-Sakhāwī, Shams al-Dīn Abū al-Khayr Moḥammed bin ‘Abd al-Raḥman bin Moḥammed bin Abī Bakr bin ‘Uthmān bin Moḥammed al-Sakhāwī. (n.d). Al-Ḍaw’ al-Lāmi’. Beirut: Dār Maktabah al-Ḥayah, unedited.
- Al-Subkī, Tāj al-Dīn bin ‘Alī bin ‘Abd al-Kāfi. (1992). Tabāqāt al-Shāfi’iyyah al-Kubrā. Taḥqīq: Maḥmoud Moḥammed al-Ṭanāḥī et al., Meṣr: Hajar li al-Ṭibā’ah wa al-Tauzī’, Ed.2.
- Al-Suyūṭī, ‘Abd al-Raḥman bin Abī Bakr Jalāl al-Dīn. (1982). Ṭabāqāt al-Ḥuffāz. Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Ed.1.
- Al-Ṭabrānī, Sulaymān bin Aḥmed bin Ayūb. (1995). Al-Mu’jam al-Awsaṭ. Taḥqīq: Ṭāriq ‘Awaḍ Allāh, al-Qāherah: Dār al-Ḥaramain, Ed.1.
- Al-Tirmizī, Abū ‘Īsā. Sunan al-Tirmizī. (n.d). Taḥqīq: Aḥmed Moḥammed Shakir et al., Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, unedited.
- Al-Zahabī, Abū ‘Abdullāh Moḥammed bin Aḥmed bin ‘Uthmān bin Qaymāz. (1987). Mu’jam al-Muḥadithīn. Taḥqīq: Moḥammed al-Habīb al-Hīlah, al-Saūdiyah: Maktabah al-Sadiq, Ed.1.
- Al-Zahrānī, Maṭr Aḥmed Musfer. (1981). Al-‘Imām ibn Kathīr al-Mufasssir.

- Risālah Master, Jāmi'ah Umm al-Qurā.
- Ibn Abī al-Dunya, Abū Bakar Abdullah bin Moḥammed bin 'Ubayd bin Sufyan bin Qays al-Baghdadi al-Umawi al-Qarashi. (n.d). Makāid al-Shaytan. Al-Majmū'ah al-Shamilah, unedited.
- Ibn al-'Imād, Abd al-Ḥayi bin Aḥmed bin al-'Imād al-'Akri al-Hanbalī. (1986). Shazarāt al-Zahab fi Akhbār min Zahab. Taḥqīq: Maḥmoud al-Arnāuṭ, Beirut: Dār Ibn Kathīr, Ed.1.
- Ibn Ḥajar, al-Asqalānī, Abū al-Faḍl Aḥmed bin 'Alī bin Moḥammed bin Aḥmed ibn Ḥajar al-Asqalānī. (1972). Al-Durar al-Kāminah fi A'yān al-Mi'ah al-Thāminah. Taḥqīq: Moḥammed 'Abd al-Mu'īd Khān, al-Hind: Heydrabād al-Hind: Majlis Dāirah al-Ma'arif al-Uthmāniyyah, Ed.2.
- Ibn Ḥajar, al-Asqalānī, Abū al-Faḍl Aḥmed bin 'Alī bin Moḥammed bin Aḥmed ibn Ḥajar al-Asqalānī. (1992). Al-Majma' al-Muassis li al-Mu'jam al-Mufahras. Taḥqīq: Yusus 'Abdul Raḥman al-Marashly, Beirut: Dār al-Ma'rifah, Ed.1.
- Ibn Ḥajar, al-Asqalānī, Abū al-Faḍl Aḥmed bin 'Alī bin Moḥammed bin Aḥmed ibn Ḥajar al-Asqalānī. (n.d). Inba al-Ghamar bi Abnā' al-'Umur. Taḥqīq: Mohammed 'Abd al-Mu'īd Khān, Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, unedited.
- Ibn Hanbal, Aḥmed. (n.d). Musnad al-Imām Aḥmed bin Hanbal. Al-Qāherah: Muassasah Qurtubah, unedited.
- Ibn Hanbal, Aḥmed. (2011). Musnad al-Imām Aḥmed bin Hanbal. Taḥqīq: Shu'aib al-Arnāuṭ et al., al-Saūdiyah: Muassasah al-Risālah, Ed.1.
- Ibn Kathīr, Abū al-Fidā' Ismā'il bin 'Umar bin Kathīr al-Qarashi al-Damsiyqī. (2010). Al-Aḥkām al-Kabīr, Wizārat al-Awqāf wa Syuūn al-Islāmiyyah, Dār al-Nawadir, Vol 2, Ed.1.
- Ibn Kathīr, Abū al-Fidā' Ismā'il bin 'Umar bin Kathīr al-Qarashi al-Damsiyqī. (n.d). Al-Ba'ith al-Hathīth Syarh ikhtiṣār 'Ulūm al-Ḥadīth, Taḥqīq: Aḥmed Moḥammed Shakir, Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, unedited.
- Ibn Kathīr, Abū al-Fidā' Ismā'il bin 'Umar bin Kathīr al-Qarashi al-Damsiyqī. (1986). Al-Bidāyah wa al-Nihāyah. Damsiyq: Dār al-Fikr, unedited.
- Ibn Kathīr, Abū al-Fidā' Ismā'il bin 'Umar bin Kathīr al-Qarashi al-Damsiyqī. (1999). Al-Sīrah al-Nabawiyyah. Taḥqīq: Muṣṭafa' 'Abd al-Wāhid, Beirut: Dār al-Ma'rifah, unedited.
- Ibn Kathīr, Abū al-Fidā' Ismā'il bin 'Umar bin Kathīr al-Qarashi al-Damsiyqī. (1998). Jāmi' al-Masānid wa al-Sunan al-Hadi li Aqūm Sunan, Taḥqīq: 'Abd al-Malik bin 'Abdullah bin Dahīsh, Beirut: Dār Khadar, unedited.
- Ibn Kathīr, Abū al-Fidā' Ismā'il bin 'Umar bin Kathīr al-Qarashi al-Damsiyqī.

- (2009). Musnad al-Fārūq Amīr al-Muminīn ‘Umar bin al-Khatāb. Taḥqīq: Imām ‘Alī bin Imām, Meṣr: Dār al-Falāh, al-Faiyum, Ed.1.
- Ibn Kathīr, Abū al-Fidā’ Ismā’il bin ‘Umar bin Kathīr al-Qarashi al-Damsiyqī. (1999). Tafsīr al-Qurān al-‘Azīm. Taḥqīq: Sāmī Moḥammed Salāmah, Beirūt: Dār Ṭayyibah, Ed.2.
- Ibn Naṣīr al-Dīn, Shams al-Dīn Moḥammed bin ‘Abdullāh Abī Bakr bin Moḥammed bin Aḥmed bin Mujāhid al-Qīsī al-Damsiyqī al-Shāfi’ī. (1973). Al-Radd al-Wāfir. Taḥqīq: Zahīr al-Shāwish, Beirūt: al-Maktab al-Islāmī, Ed.1.
- Ibn Qādī Shahbah, Abū Bakr bin Aḥmed bin Moḥammed bin ‘Umar. (1986). Tabāqāt al-Shāfi’iyyah. Taḥqīq: Al-Hāfiz ‘Abd al-‘Alīm Khān, Beirūt: Dār al-Kutub, Ed.1.
- Ibn Shāhīn, ‘Umar bin Aḥmed bin ‘Uthmān. (1995). Al-Tarqhib fi Faḍāil al-A’māl wa Thawāb Zālik. Al-Saūdiyah: Dār ibn al-Jawzī, Ed.1.
- Ibn Taghrī Burdī, Yūsuf bin Taghrī Burdi bin ‘Abdullah al-Zāhirī al-Hanafī. Al-Nujum al-Zāhirah fi Mulūk Miṣr wa al-Qāherah. Meṣr.
- Moḥammed, Ibn Khathīr al-Damasyiqī al-Hāfiz al-Mu’rakh al-Faqīh. (1995). Damsyiq: Dār al-Qalam, Ed.1.